# التجديد الإسلامي والعولمة

## بين «الخاتمية» و«الفضليّة»

قراءة في قداس الأحد (١٢/٣/٢٠٠٠) ووثيقة «أخطاء الماضي» الصادرة عن الفاتيكان

عباس بن نخي

# التجديد الإسلامي والعولمة

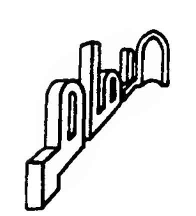
## بين «الخاتمية» و«الفضليّة»

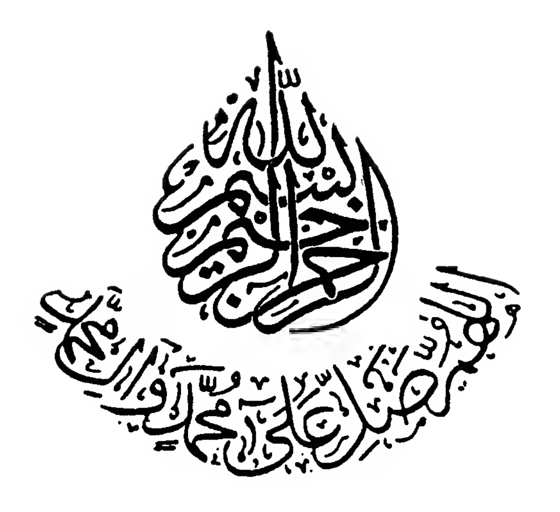
قراءة في قداس الأحد (١٢/٣/٢٠٠٠) ووثيقة «أخطاء الماضي»
الصادرة عن الفاتيكان




عباس بن نخي

مقالة صحفية
طبع منها ألف نسخة
محرم ١٤٢١ هـ ـ إبريل ٢٠٠٠ م
لبنان ـ بيروت






﴿ أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى
أمّن يمشي سوياً على سراط مستقيم ﴾

في غرفة ضيقة خافتة الإضاءة، قريبة من «المذبح»، لا تسع إلا لكرسيين، يستوي على أحدهما «المؤمن» وعلى الآخر «راعيه» الكنسي حسب «الأبرشية» التابع لها، أو أي «مطران» مخوّل، يفصل بينهما جدار تتخلله نافذة، معرّقة بمشربية أُرخيت عليها ملاءة... يزيحها «المؤمن» ويبدأ بسرد ذنوبه وما يؤنب ضميره من الخطايا التي وقع فيها، تجاه الناس أو تجاه ربه.

يصغي إليها راعيه ـ القس ويتلقاها، بصفته وشخصه، فهو «الأب» الذي يحمل «السر» ويملك «التفويض» ويمثل الإمتداد الروحي للأب الأكبر أو بابا الفاتيكان، الذي يمثل بدوره «الرب» وينوب عنه إلى حين «القيامة الثانية» وعودة المسيح في «اليوم الأخير». فيملك أن يغفر له، ليخرج من «رحم» غرفة الإعتراف الضيقة إلى الدنيا وفضائها الرحب، كيوم ولدته أُمه.

ولا تخلو ديانة من موقع هام لفكرة **التوبة والإستغفار**. غاية الأمر أنها تتفاوت في معانيها وأشكال أدائها من دين لآخر[1]... ولكن الإستغفار، أو ما يطلق عليه في المسيحية: «**المصالحة**» و«**سر التوبة**»، يحتل موقعاً متميزاً في الفكر المسيحي، إذ يقوم على واحدة من أهم الأركان العقائدية للديانة المسيحية، يضرب بجذره في أحداث «الجمعة السوداء أو العظيمة» التي يعتقدون أن المسيح عليه السلام قد صلب فيها... وكيف أنه تقدّم كفداء لشعبه، وتحمل «ألم الموت» ليكتب الخلاص والتحرر للإنسان.

وهو **السر الخامس** من أسرار الكنيسة. و«السر» عندهم هو ما يترتب على أداء طقوس معينة، وما يتحقق من ربط بعض الأعمال والإنفعالات الحسية بالقدرة التي يتمتع بها المسيح وما يضفيه على تلك الأعمال، فيجعلها ذات أثر في تقديس النفوس، وذات نتائج خاصة ونِعَم غير محسوسة[2].

---

(١) وقد فتح الإسلام الابواب للتوبة وشرعها للإستغفار، وفي الشريعة والمأثور كنوز ثمينة في هذا الباب. ويشار إلى الحج، وما يتخلله من إحرام وموقف وطواف وسعي ورجم ونحر ثم تقصير... على كونه المحطة الأهم في تنقية الروح وتطهيرها، و«الرحم» التي يعود المسلم ليخرج منها «كيوم ولدته أمه» من جديد.

من هنا يضرب اليهود رؤوسهم في حائط المبكي ويميلون عليه كالمطارق، ويزحف البوذيون على بطونهم باتجاه أصنامهم، ويرتمس الهندوس ويغتسلون في أنهارهم المقدسة (مثل نهر «الكنج» أو الغانج «Ganga»)... ألتماساً لما يتصوّرونه خلاصاً من الذنوب وتحرراً من الآثام، وطهارة تحصل لهم بذلك.

(٢) وفي تعريف الاب توماس ميشال، الأسرار: علامات حسية وشعائر منظورة تحقق أعمالاً غير منظورة يقوم بها المسيح القائم من الاموات ضمن جماعة المتحدين بالكنيسة. انظر كتابه: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص١٥٦.

أما الأسرار، فهي سبعة:

**العماد**: وهو الدخول في الجماعة المسيحية، ويتم بسكب الماء على الرأس (ويكون للأطفال). **والتثبيت**: وهو تحمل المسؤولية والدعوة المسيحية في المجتمع، ويتم بمسح الزيت على يد أسقف (ويكون للراشدين). **والزواج المسيحي**: حيث يعتبر رمزاً لقيم إلهية ـ في الأصل ـ كالحب والوفاء، تهبها الكنيسة للزوجين ليجسّداها في الحياة. **والدرجات المقدسة**: وهي درجات تتعلق بـ «الإكليرس» ومَن كرّسوا حياتهم للكنيسة (أي رجال الدين، الذين يقابلهم المدنيون)، ورتبهم ودرجاتهم واختصاصاتهم (المطران، الكاهن أو القس، والشماس). ثم **المصالحة**: التي جئنا على ذكرها. **فمسحة المرضى**: وهي علامة لشفاء المرضى وتهيأتهم للموت، تعالج العزلة الأليمة التي طالما يعيشها المريض، وتتم بالزيت المقدّس. وأخيراً **الإفخارستيا**: هي سرّ «العشاء الأخير» للمسيح عليه السلام، وتكون بتناول شيء من الخبز والخمر (كرمز لجسد المسيح ودمه)، حيث يعتقد المسيحيون أنهم لما يشتركون في هذا العشاء يكون المسيح موجوداً معهم وجوداً جسدياً (كما كان مع تلاميذه في الليلة التي سبقت صَلبه)، ويجري «التناول» بعد «مباركة» الخبز والخمر بقراءة في «الكتاب المقدّس».

وهناك اختلاف بين المذاهب والطوائف المسيحية في «الأسرار»، يطال عددها وشكلها وطقوس أدائها، لا داعي للتعرّض إليه...

* * *

ولكن هل ما جرى مؤخراً، وما تناقلته الأخبار عن **قداس الأحد** ٢٠٠٠/٣/١٢ الذي أُقيم في حاضرة الفاتيكان، يدخل في السرّ الخامس؟

لقد خصّص «الحبر الأعظم» القداس للإعتراف بخطايا الكنيسة تجاه عدة قضايا وأحداث مصيرية وقعت في الألفي سنة الماضية، خصوصاً ممارسات القرون الوسطى، وقد جاء الحدث كتنفيذ وإعلان لمقرّرات وثيقة «**الذاكرة والمصالحة ـ الكنيسة وأخطاء الماضي**» التي عكف المسؤولون في الفاتيكان على إعدادها منذ العام ٩٤، وفرغوا منها في ديسمبر الماضي، حيث خرجت في أربعين صفحة، وقد أذن البابا بنشرها وتعميمها في وقت متزامن مع عظة «طلب الصفح» التي ألقاها.

ناهيك عن حدود ونوعية «الخطايا» التي شملها «اعتراف» الكنيسة و«ندمها» و«توبتها»، هل يغطي: جرائم الحروب الصليبية وتكفير المذاهب المسيحية الأُخرى (غير الكاثوليكية)؟ أم يقتصر على: محاكم التفتيش، ومحاربة الإختراعات والإكتشافات العلمية، واضطهاد اليهود؟

**ناهيك عن كل ذلك**... فإن مدلول هذا الحدث يتجاوز تفاصيله ويتخطّى جزئياته الدقيقة. ولا أُريد إلغاء دلالات هذه التفاصيل، أو التقليل من قيمة تلك الدقة المقصودة، والتي جرت مراعاتها لتعني ما أرادوا أن تعني. ولكني أُريد أن أنتقل إلى الأجواء العامة التي أقتضاها هذا الخطاب، أو الأجواء التي تريد الكنيسة أن تنتقل إليها فكانت هذه القنطرة... أي التراجع والتخلي عن بعض الأصول.

أما كونه يدخل في سياق طقوس «المصالحة» و«سر التوبة»؟ (وبالمناسبة، فإن طقس «سر التوبة» كان يجري في العصور السابقة بشكل علني، وهناك أصوات في الكنيسة اليوم تدعو للعودة إلى ذلك)... **فهذا مما لا هامش له في حساب الإحتمالات!** اللهم إلا في أذهان تريد أن تعيش الأماني والآمال فتغمض الحقائق والوقائع، ونفوس تحكمها العواطف والأهواء فتتجاهل معطيات العقل وأرقام المنطق(١).

* * *

مما لا شك فيه أننا نعيش طوراً جديداً من **العلاقة بين الكنيسة والعلمانية**. وأن ما جرى في بداية «عصر النهضة» من التأكيد على إنهاء أي دور للكنيسة، وإلغاء وجودها السياسي والإجتماعي، وبناء الحضارة الجديدة للغرب على أنقاض «ثقافة» «العصور الوسطى»...

آخذ الآن في التغيير والتحوّل، وأن توافقاً ما، أصبح يحكم العلاقة بين عدوّي الأمس اللدودين: الدينيين والمدنيين أو العلمانيين، وآلية جديدة غدت تنظم لموقع جديد لـ «الدين»، أو لدور «المؤسسة الدينية»، في الحضارة القادمة للبشرية، وما يسمّى بـ **«عصر الألفية الثالثة»**.

---

(١) فكأننا ـ في العالم العربي ـ ما صدقنا أن صدر هذا الموقف، فرحنا في الفرح والسرور وإظهار الرضا والقبول، وكأننا قطاع طرق، طارئين على الحوار والتعامل الحضاري، وقد خرج إلينا الدلو بالبشارة: هذا غلام! فاسرّها شيخ الأزهر بضاعة، ليطالعنا بتصريح ينسجم مع قسمات البراءة في وجهه ذي السحنة الطفولية: بانه يكتفي بالإعتذار الذي قدمه البابا عن الحروب الصليبية!

مما يُنبي أن الإبقاء على الجمعيات الدينية في المجتمع الغربي، واستمرار الخيار الديني (لمن يريد ويرغب) في العيش وبناء علاقاته الإجتماعية (زواج، دفن، تعميد...) وفقاً للطقوس الدينية، وهكذا وجود: «IN GUD WE TRUST» (على الله نتوكل) التي نقشت على العملة الأمريكية، والصليب الذي رفع على أعلام الدول الغربية، ودخل حتى في شعارات الأندية الرياضية وعلامات (ماركات) الشركات التجارية... لم يكن الإبقاء على هذه الأمور، لمجرّد استعمالها كأدوات مواجهة بين اليمين واليسار، والإقطاعيين والمزارعين، وأصحاب المصانع والعمّال، شكلت وسائل الفعل الإجتماعي في إثارة النعرات وخلق الإنتماءات، التي كانت توظف ـ بالمحصلة ـ لصالح القضايا السياسية، كما كان يذهب التحليل في السابق.

**لم يكن الأمر مجرّد ذلك...**

بل كانت وسائل تخلق التوازن بين: النهج المحافظ الذي كان يصبغ المجتمع الغربي في عهد هيمنة الكنيسة، وبين دعوات وممارسات الإباحية واللاأخلاقية التي ظهرت كسمة من سمات «المدنية» الغربية، وصفة، تكاد تكون لصيقة، بالتطور العلمي والحضارة والنهضة.

ثم أداة تؤمن «الحدّ الأدني» الذي يشبع الوازع الديني لدى إنسان خارج لتوّه من أجواء طالما ربطته باللاهوت، وجرفت الكثيرين للعيش في بحر متلاطم اختلط فيه «الدين» بالأساطير والخرافات! ومقولات تقف على حدّ النقيض مع هذه الحضارة الجديدة. لقد كانت أداة تلبي ما يدغدغ التطلعات الفطرية لهذا

الإنسان، بل للإنسان السوي، تجاه الدين، بما يمثله من حقائق ويوفره من إجابات لأسئلة لازالت تجوب آفاق النفس البشرية مذ خلقها الله... تساؤلات حول: فلسفة الوجود، والخلق والخالق، والروح والمادة، وعالم الغيب وما وراء الطبيعة، والحياة ما بعد الموت...

ولا يستبعد أن يكون الأمر قد **خضع لتنسيق وتوافق بين الكنيسة والقادة الجدد للعالم** (في ذلك الحين)، اولئك الذين كانوا يهيمنون على «الآلة» (المكينة)، وقامت على أكتافهم النقلة الحضارية الجديدة، الذين تبلورت صورتهم فيما بعد في تنظيم «**البنائين الأحرار**» (الماسونية)[1]... توافق يقوم على حصر نطاقات وجود «الدين» في المجتمع، وبالتالي تحديد سلطته ونفوذه ودوره السياسي فيه، بما لا يتجاوز وظيفة «صمام الأمان».

أما الآن وقد **كبح جماح الدين**، وهذب وشذب الفكر الديني من جهة... ومن جهة أُخرى بدأت **موجة عارمة تهيج من الشرق باتجاه الغرب**، لا يمكن تجاهلها والإستخفاف بنتائجها. فهم يعلمون أنهم إن استطاعوا قمعها تحت شعار خطر «الإرهاب الإسلامي»، فإن هذا لن يسقط محتواها، ولن يبطل

(١) صورة ما لبثت أن توارت خلف الكواليس، ممسكة بالزمام من هناك، في محافل يلفها الغموض وتكتنفها السرية... تاركة للأحزاب والمنظمات (السياسية والإنسانية) الظاهر التنفيذي للقرارات التي يصدرها «مجلس حكماء روما»! فمن الصليب الاحمر واليونسكو والفاو والبنك الدولى ومحكمة العدل، إلى هيئة الأمم، ومعسكر شرقي وآخر غربي، فعالم أول وثاني وثالث، فدول مصنعة وأخرى نامية، فمنظومة الشمال والجنوب، وحتى «عصر العولمة» الذي ينتظرنا جميعاً... كلها صور لحقيقة واحدة، هي هيمنة «الماسونية»!

مادتها وموضوعها وتأثيرها (السحري)، وقدرتها على مخاطبة النفوس ومحاكاة الهموم الحقيقية للإنسانية، ولن يقضوا على جوهرها الذي يحمل رسالة «الدين» ويصطدم ـ وجهاً لوجه ـ مع الحضارة المادية، وهو **جوهر يلتقي**، أو لا يمانع من الإلتقاء، في **بعض مفرداته الهامة بالمسيحية والكنيسة**.

لذا لابد من معالجتها والتعامل الحكيم معها.

* * *

لا يصح مسّ الشخصيات الدينية والنيل منها جزافاً، ولا الخوض فيما يجرح مشاعر مَن يقدّس البابا والفاتيكان، ولكن الحديث عن دور المافيا وأجهزة المخابرات في اختيار البابا وتحديده من بين الكرادلة المرشحين، شاع حتى بلغ الصحافة ودخل في قصص الأفلام السينمائية، خصوصاً بالنسبة لجان بول الثاني (البابا الحالي) الذي يصنفه البعض في عناصر الـ CIA وكبار عملائها، وأنه من **أبطال الحرب الباردة**، وقادة فصولها الأخيرة[1]، حيث كانت حركة التمرّد العمالي في بولندا بقيادة «ليخ فاليسا» بمثابة شرارتها الأولى وإحدى أهم البوابات التي دخل منها الغرب، والتي أودت ـ في النهاية ـ بالمعسكر الشرقي وقضت على الإتحاد السوفييتي. وبعد أن تربع جان بول الثاني على كرسي الفاتيكان وتقلد صولجان البابوية في روما... **منح «فاليسا» ـ بدوره ـ جائزة نوبل للسلام من ستوكهولم!**

---

(١) وبالاصل، جاء انتخاب يوحنا بولس الثاني (البولوني الاصل) هذا في اكتوبر عام ١٩٧٨ كحلقة في خضم حركة «نقابة التضامن» في بولندا، بل في أوج نشاطها الدراماتيكي، وعلى خلفية أحداثها المتسارعة!

وهذا مما اشتهر وتواتر في الغرب، ووصل ميادين الصحافة والإعلام، وبلغ النشر والكتب[1]. حتى أن الدوائر الخاصة، العليمة ببواطن الأمور، سجلت محاولة الإغتيال التي تعرّض لها جان بول الثاني عام ١٩٨١ في ميدان «بطرسبرج» في «اوسلو»، على البوليس السري البلغاري والـ K.G.B أكثر مما سجلته على: «**مسلم تركي**»... حظي فيما بعد ـ بدوره ـ بعفو البابا ومسحة غفرانه!

**إن مثل هذه الخلفية عن مثل تلك الشخصية،** تسمح لنا بأن «نشطح» قليلاً في تحليل تصرفات الرجل ومواقفه، وتفرض علينا أن لا نكتفي بالظاهر والحمل على «حسنه»، فنتغنى بسمو الموقف ونبهر بحكمته ونؤخذ بإنسانيته! فلعل «لأمر ما جدع قصير أنفه»...

* * *

من هنا فإن هناك فهماً آخر لـ «قداس التوبة» الأخير، ورؤية تنطلق من زاوية أُخرى قد لا يوافق عليها البعض، خصوصاً الذين أُخذوا بالعاطفة، وبصدمة المفاجأة، أو الذين لا يريدون أن يخسروا فرحة هذا الحدث الهام.

**إن الحدث يكشف أنهم يعدّون ويمهدون لـ «دين» جديد!** ...

يحظى بـ «عالمية» تكتسح الكرة الأرضية، ويمثل «البديل» الذي سيغني عن جميع الاديان السماوية وغير السماوية... دين يصلح لدنيا «العولمة» ويناسب مقتضياتها.

---

(١) انظر: «صائد الجواسيس» لبيتر رايت، و«الحروب الخفية للمخابرات الامريكية» لبوب وود وارد.

وهو بمثابة نسخة مطوّرة ومحسّنة من محاولاتهم (الممهدة؟!)، التي سبق أن قدّمت «البهائية» و«القاديانية» وغيرها من المشاريع القائمة على تلفيق هزيل والتقاطية سطحية، بدت في غاية الضعف. وهكذا بعض الفروع البوذية، التي أخفقت هي الأخرى، لما بدى من أنها إلى نظم المعالجة الروحية والطب النفسي أقرب منها إلى «الديانة»، وآخرها مذهب «فالون غونغ» والطائفة التي ذاع صيتها في الصين بداية عام ألفين.

إن مقررات وثيقة «**الذاكرة والمصالحة ـ الكنيسة وأخطاء الماضي**»، وقداس الثاني عشر من مارس يعني، أول ما يعني:

مسّ التراث، وضرب البنية التقليدية التي تأسست الأديان، ومضت في حركتها ودعوتها عليها، ونشأ المتدينون وتلقوا عقيدتهم وفقها. وهي «**الثوابت**» المستمدة من **الأصول والتراث والنص**...

مقابل طرح جديد لـ «الدين»، يقوم على سقوط تلك «الثوابت»، والإرتكاز على «**المتغيرات**»، المنطلقة من **المصالح والضرورات**، **وتحولات الظروف** (القدرة، الزمان، والمكان).

إن أوّل معطيات الخطوة البابوية وأخطرها على الإطلاق، (وقد سجّلها المسيحيون قبل غيرهم)، تمثل في **التخلي** عن أصل أصيل، **والتنازل** عن مرتكز أساس في البنية الدينية والفكر المسيحي، هو «**عصمة الحبر الأعظم**» (كونه يمثل الرب)!

ومهما حاول البعض أن يلتف على هذا «الإعتراف» بالوقوع في «المعصية» ثم طلب «التوبة» و«الغفران»، وجاهد في إظهار الكنيسة غير متراجعة ومتخلية عن هذا الأصل... فراح يفلسف

أصل «العصمة» ذاك، على أنه يتعلق بالعقيدة المسيحية، وفيما تطرحه الكنيسة، دون السلوكيات والأفعال والممارسات، وأن التوبة إنما كانت على هذه وعنها... فإن هذا يدخل في «تشبث الغريق بالقشة»، وينطوي على تجاهل الإرتباط والإندكاك بين جملة من السلوكيات ـ محل التوبة ـ والعقيدة المسيحية.

لقد فتح البابا الباب، وقص «شريط الإفتتاح» **لدخول «الدين» عالماً جديداً**... حيث ينضو ثوب الماضي، ويتنكر لكل قيمة تحد أو تبطىء من حركته القادمة، ويتخلي عن الموروث الثقيل، والمعيق، المتمثل في النصوص والأصول. ويفتح أُفقاً رحباً أمام الوضع والتأليف، بما شاء الأرباب ورغبوا، مما يخدم مشروعهم ويرسخ زعامتهم ويبرر هيمنتهم!

وعندما يُهدف **لتأسيس حركة عالمية**، ويُراد لفكرة ما الشمولية، لابد أن يُلاحظ وجوب تجاوزها أُطر الإنتماء: **الديني والعرقي والوطني**، وينظر إلى خلوّها من الموانع التي تعيق انطلاقتها، ومن الأثقال التي تربك تقدّمها واستمراريتها...

عندما أراد رسول الله ﷺ لدينه أن ينتشر، وأراد له أن يكون حركة عالمية تتخطّى مكة والمدينة والجزيرة العربية، وتتطلّع **لأفق يعم الكرة الأرضية**، قام بإزاحة بعض العوائق والأحمال التي تثقل الحركة وتحد من إنطلاقتها... فعمد إلى نسخ الماضي بأعرافه وقوانينه الباطلة، وبدأ بعشيرته وما يتعلق بها، في دفعٍ لأي وَهْم عن مصالحَ أو أغراض شخصية، فقال ﷺ وهو على صعيد عرفات في حجته الأخيرة (على ما في سنن النسائي): «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم

هذا، في بلدكم هذا. ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوع، **وأول دم أضعه دماؤنا، دم ابن ربيعة بن الحارث**، كان مسترضعاً في بني سعد وقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأوله **ربا عباس بن عبدالمطلب**، فإنه موضوع كله».

**لقد قرأ البابا**، ومَن وراؤه، **هذه اللغة الراقية**، وتعرّفوا على هذا الأسلوب، ولمسوا ما طبع فيه من الحنكة والحكمة الإلهية... فحذو حذوه. لكنهم أبطلوا دينهم ونالوا من مبادئهم! لا من أعراف الجاهلية ومن مصالحهم وأُمورهم الشخصية، لصالح الحق ومبادئه! وانطلق البابا في مشروعه الجديد ولسان حاله يقول: **ها أنا أبدأ بنفسي، وأنال من ديني!**

إن هذه الخطوة التاريخية[١] حققت دخولاً ذكياً للعالم الجديد، وتمهيداً للحتمية التي ستكون صيغة حضارة الألفية الثالثة... **أي العولمة**. ونتيجة مباشرة لما اطّلع عليه البابا، من موقعه القريب واللصيق، إن لم يكن الفاعل في المخطط.

إن الأقدر على فهم مستقبل الحياة، وما ينتظر البشرية من تطوّر علمي وتقني، وما سيؤل إليه الوضع الإجتماعي، وما ستنتهي إليه المنظومة السياسية... **سيكون الأقدر على التكيف**، والأنجح في العثور على موطىء قدم، أو موقع يحافظ فيه على مصالحه، أو على هويته وفكره وعقيدته (بالنسبة للمخلصين).

---

(١) مما ينبغي تكراره والتأكيد عليه هنا، هو أن هذا التحليل يقوم على تجاوز تفصيلات وحدود التوبة وأي الخطايا تم الإعتراف بها. فما يهمنا هو ما انعكس في الشارع العام، بل في الدوائر العلمية والأكاديمية المتخصصة، من أن الفاتيكان تخلى عن أهم أصل يقوم عليه!

لو كان اليابانيون يعلمون بتمكن أمريكا من القنبلة النووية، لما كانت «بيل هاربر»... وبقال الحي، الذي أُخذ على حين غرّة بالأسواق المركزية، والنهج الجديد في التبضع والتسوق... أفلس وطوى تجارته! وهكذا أفلس تاجر الأجهزة الإلكترونية والأدوات الكهربية الذي كان يكدس في مخزنه أجهزة فيديو تعمل بنظام «البيتامكس»، غافلاً أنه نظام سيلغى العمل به. مقابل التاجر الآخر الذي بلغته الأخبار، وعلم بما قرره وتوافق عليه المصنعون في اليابان، قبل أن يعلن عن قرارهم، فأعد وهيء ما أنقذه من الإفلاس ومكنه من الإستمرار في الحياة.

هذا عن التجارة والكسب... **فماذا عن الدين والأخلاق؟** هل يمكن التعامل معها بنفس الكيفية؟ هل تصلح الآلية نفسها في معركة الدين مع التهديدات التي يواجهها؟

* * *

ما هو «حظ» الدين، وما هو هامش «الأخلاق»، وماذا سيحكم علاقة الإنسان بنظيره (الأقوى والأضعف)؟ وأين ستكون «المعنويات»، ناهيك عن الغيبيات، وأفكار ما وراء الطبيعة، في عالم هذه طليعته، وهذه إطلالته؟

إن «**الإستنساخ**» باب يكبر تصوّر النطاقات التي يفتح عليها، ويصعب استيعاب ما يمكن أن يفعله في معالم الحياة ويقلبه من موازين و«ثوابت» الإنسان والحيوان والنبات والطبيعة، وعناصر القوة والإقتصاد والسياسة والبنية الإجتماعية للبشرية... وكيف يمكن أن تنتقل الحياة بجميع أبعادها إلى شيء جديد لا يمكن التنبؤ بحدوده!

وهو (الإستنساخ) ليس من الخيال العلمي أو خطوة مأمولة في المستقبل... بل هو واقع متحقق، خرج من نطاق الأبحاث والتجارب ودخل في النتائج، وإن بادروا - سريعاً - وعادوا إلى التكتم عليه، بعد أن ظهر بعضه إلى الإعلام لبرهة.

إن ما تحقق، أو ما ظهر حتى الآن، في تقنية **المعلومات والإتصالات**، **والطاقة والإنتقال والحركة**، يُنبي أنهم ماضون في السرعة وطي الزمن - في جميع الأبعاد - حتى يضمحل ويتلاشى (إذا ما بلغت الحركة سرعة الضوء، حيث تصبح الكتلة لا نهائية)، وكأنهم يتطلعون إلى الخلود!

إنهم **يختزلون الزمان والمكان**، ويقلبون الحياة رأساً على عقب... هذه هي الطريق، وهذا هو ما تمضي عليه الحركة، فأين سيبلغون، وماذا سيفعلون؟

لا ندري، ولكن مما لا شك فيه أنهم سيلغون - في الطريق نحو أهدافهم - **حدود الأوطان وثقافاتها**، **وحدود السلوك البشري**، بما لا يبقي لمفهوم **«الفضيلة»** و**«العفاف»** و**«الشرف»** معنى! حتى تكون **الإباحية** وضعاً طبيعاً وخلافها نشازاً.

إن ما بدت بوادره من مقولة السوق الواحدة والتجارة العالمية المشتركة والمتداخلة، التي ستحدد لكل شعب وبلد ما يجوز وما لا يجوز له أن: **يزرعه ويصنعه ويصدره ويستورده**... يعني فيما يعني، سقوط جملة من القضايا الإعتبارية التي تشكل طبيعة حياة اليوم. فهل سيعود للإنتماء إلى الأوطان والإنتساب للأعراق قيمة؟ وهل سيبقى للإلتزام بالآداب والأعراف الإجتماعية موقع؟ بل هل سيكون لأنظمة الحكم دور؟

إن سقوط الإخلاق وانحسار الدين، هو الملزوم الأول لهيمنة الحسّ وتحكم المادة... **فهل سيحظى الإسلام في مثل هذا** العالم بموطىء قدم، وما يسمح بوجوده؟

إن الركيزة الأساسية **للأخلاق ستتغير**، وسيلغى المنطلق الغيبي والعقائدي للسلوك الاخلاقي للبشرية، وستنوب عنه وتحتل مكانه **«قيم» فضفاضة، تقوم على الحياة المدنية وتوافقاتها**، التي ستصب، رغماً عن الجميع، في مصلحة قادة العولمة والمهيمنين عليها، وفيما يرسخ هذه الهيمنة ويوثق عراها.

وهذا كله لا يشكل إلا غيضاً من فيض، وما خفي أعظم!

لقد قرأ البابا مستقبل العالم، أو أنهم أطلعوه عليه، ووجد أن مهمته، أو الطريق لبقاء كنيسته، أو سلطته ومصالحه الشخصية والفئوية (لا تهمنا الاسباب والبواعث)... **تقتضي تقديم نموذج مستحدث للدين**، يحاكي متطلبات «العولمة» وينسجم مع لغتها ومفرداتها. وإن أفضى ذلك ودفع للتخلي عن الكثير، مما اعتبر مربكاً أو معرقلاً للمسيرة وطموحاتها، مما **يتعارض مع الموقع المعد للدين في العالم القادم**. فعليه أن يتكيف، ويهذب ويشذب، وإلا ليرحل هو وصليبه، كما سبق أن رحل أسلافه في صدر «عصر النهضة الأولى».

وكانت أول عنق تهوي عليها المقصلة، هي الركن الأهم في الدين، كل دين، أي **«التراث»**... وكان المسوّغ الذي صاغ حكم الإعدام هذا، والمنطق الذي برّر حيثيات صدوره، هو إدخال «التراث» في **النتاج البشري**، وعدّه من إفرازات التفاعل الإنساني مع النصوص الإلهية المنزلة والمعصومة.

فكأنهم **لم يقدروا على الطعن** المباشر بالكتب السماوية، وبأنها منزلة من الله، أو الطعن بالاحاديث والتعاليم المنقولة عن الانبياء وأن قداستها سارية المفعول ما دامت الحياة، فمالوا على «طرق النقل» و«التفسير» و«الفهم» و«الإستنباط»... وقالوا إن هذا التراث هو جهد السلف، ونتاج علماء الاجيال السابقة، ويعكس محاكاتهم للنصوص المعصومة وتفاعلهم معها، وحق لنا نحن أن يكون لنا دورنا ونصيبنا.

**وهي مقولة** تدور بين: «كلمة حق يراد بها باطل»، والغفلة أو التغافل عن مغالطة صارخة، وتجاهل فج للعلم والفن والتخصص، وسحق للعقل والمنطق، وما يمكن أن يجمعه تعبير: الإسفاف، الذي ينطوي عليه هذا الباطل.

ولا يعني هذا ـ بطبيعة الحال ـ تنزيه جميع التراث وتصحيحه كلّه، مما ينتهي إلى سد باب الإجتهاد (عملياً)، ولكن يعني أنه طور ودور لا يصح أن ينتقل إلى الخطاب الإعلامي ويدخل في الثقافة الإسلامية، فضلاً عن العمل به، ما لم يتجاوز مرحلة البحث العلمي التخصصي، والخلوص إلى نتائج علمية محددة، ومقررات يصدرها ذووا الإختصاص، أي الحوزة العلمية.

* * *

في ظل «الجمود» الذي تعاني منه **المؤسسات والمراكز العلمية السنية**، وهكذا مراجعهم الروحية المنتظمة والمنضبطة، أو المحكومة بقرارات لا خيار لها فيها. وعلى ضوء الشتات والفلتان الذي تعيشه **التيارات والقوى السنية** «المرنة» والحرّة... ثم الضحالة والقصور العلمي الذي يجمع الجهتين.

فإن الجبهة الوحيدة القادرة على مواجهة «العولمة» وما ينتظر الدين في العالم القادم من التزييف والتحريف... هي **الحوزة العلمية والمرجعية الشيعية**.

وذلك بما تملكه من **موقع أصيل ونزيه**، أثبت - على مدى التاريخ - **موضوعيته وكفاءته**، كما أثبت قدرته وعطاءه، ويكفيه أنه أبقى على مذهب، أجمعت وأطبقت كل قوى الشر على محاربته، وبذلت كل ما تملك للقضاء عليه... أبقته حياً سليماً.

وبما تملكه من **علوم تتصل بتراث أهل البيت** عليهم السلام، وبما ترتكز عليه من أدوات تستمد من معينهم الصافي وتنهل من عذبه الذي لا ينفذ. إلى جانب التسديد والنصرة القادمة عبر **قناة الفيض الإلهي، والإمداد الغيبي**، من خلال اتصالها بإمام العصر عليه السلام، الذي بيمنه يرزق الورى، ولولاه لساخت الأرض بأهلها، بمناسبة نيابتها العامة عن تلك الناحية المقدسة.

إنها الجهة الوحيدة القادرة - نظرياً - والمخولة - عملياً - على «تنقيح» التراث، وإعادة النظر في طرق وآليات وأصول الإستنباط الفقهي والتنظير الديني.

وهي الجهة الوحيدة التي لها صلاحية تحديد «المقدّس» وتمييزه عن «غير المقدس»، من خلال رسم نطاق «النتاج البشري» الإجتهادي (القابل للتغيير)، وفصله وتمييزه عن «التراث المعصوم». ثم تحديد ما يدخل في جوهر العقيدة وصميم الدين وقوامه، مقابل ما يُعد من أعراضه ومتعلقاته وأُموره الثانوية، وبالتالي، إطلاق الكلمة الفصل فيما **يمكن استبداله وإلغاؤه، وما لا يمكن**، اللهم إلا لمن أراد تأسيس و«وضع» دين جديد!

إن الأمر يبدو مثل أن يطرح **المهندسون أو الأدباء أو عامة الناس منهجاً طبياً جديداً** في تشخيص الأمراض وعلاجها. وترتفع الأصوات لنبذ المنهج القائم والمعمول به، والتخلي عن الأصول التي يرتكز عليها الطب، من منطلق أنها مجرد حصيلة عطاء بشري، يمكن أن يكون خاطئاً... ثم يجدون متطفلاً على الطب هنا، وممرضاً معقداً هناك، ليستأنسوا بتأييده ويطبعوا ختمه أسفل المشروع، وينقدوه الثمن: «شهرة» ترفعه في وسائل إعلامهم ليتصدر حملتهم الإضلالية!

**إن تغيير منهج العلاج**، وثبوت بطلان الطب القائم لا يدخل في المحالات العقلية، بل يمكن أن يكون ذلك يوماً ما. ولكن، مثل أي علم آخر، هناك أُسس وأُصول تدخل في «الثوابت»، لا يمكن تغييرها. وهي في الطب، على سبيل المثال: **علم التشريح**، وحقيقة وجود الطحال في هذا الموضع والقلب في ذاك، وأن الوظائف الأساسية للبدن توزع على الجهاز الهضمي والتنفسي والعصبي والدورة الدموية. ثم أن هناك طرقاً لتغيير النظريات وآلية لتعديلها وتطويرها، وليست مسألة تغيير ما هو قابل للتغيير أمراً عبثياً يمارسه الغوغاء ويقوده الإعلام!

إنها علوم وفنون، خلصت إلى نتائج محددة لا زالت تتوارثها منذ مئات السنين... فمن **أراد تغييرها، عليه أن ينطلق من نفس كليات الطب**، ومن نفس الأكاديميات والمراكز العلمية التخصصية، وأن يحظى بتأييد مشهور، إن لم يكن مجموع أساتذة الفن وعلمائه المتخصصين، حتى يمكن للناس أن يذعنوا، ويتخلوا عن الطرق التي كانوا يعالجون مرضاهم وفقها.

لقد رسب طالب ممتحن في كلية الطب، لأنهم سألوه عن مريض بالصفراء، فعاين الحالة وقرر سبباً نادراً جداً للإصابة، ومع أن إجابة الطالب كانت صحيحة وفق ما تبين بعد ذلك من التحاليل المخبرية، ولكن نظام التشخيص، وفقاً للأُسس المعمول بها في كلية الطب، كانت تقتضي جواباً آخر!

وهكذا الأمر في الهندسة وبقية العلوم... فقد يأتون بمناهج حديثة يسمونها «الرياضيات المعاصرة»، وقد يستحدثون أبواباً في الجبر والحساب وما إلى ذلك... ولكنهم لن يجدوا مثلثاً يتجاوز مجموع زواياه ١٨٠°، أو مربعاً خماسي الأضلاع! أونقيضان يجتمعان في مكان وزمان واحد.

وأما **الحوزة الشيعية... فهي حوزة مرنة ومتطورة، لا تمانع من التغيير**، ولا تتعسف بالتمسك والتشبث بالموروث. غاية الأمر أنها تصرّ على خضوع أي تغيير للأُصول العلمية والثوابت التي أرستها حجج وبراهين مستحكمة كالجبال الرواسخ. فإن جاء من يريد التجديد والتغيير والتطوير حاملاً أدلته وبراهينه، فسيكون في موضع حفاوة وترحيب. أما أن **يأتينا بعبارات أدبية منمقة، وشعارات صحفية براقة، ويريد أن يغير بها «الموروث»**، فهذا ما لا مكان له في هذا الصرح العلمي الشامخ، وعليه أن يبحث لنفسه عن موقع بين العوام والغوغاء!

إن الحوزة الشيعية **أبعد ما تكون عن الجمود والتحجّر**، وهي تتمتع بالكفاية من المرونة والحركية. حتى أنها مارست التطوير في مناهج الدراسة والمتون العلمية لعدة مرات، وعملت بالتغيير والتجديد، حيث انتقلت من مرحلة التدوين وتصنيف المجاميع

الروائية، إلى المدرسة الإخبارية، فالمدرسة الأُصولية... وبقدر ما يلتزم الشيعية بـ «التقليد»، تعيش **حوزاتهم العلمية تغييراً** وحركة دائمة، من خلال الإجتهاد وتبادل الآراء ونقد النظريات، الذي قد يبلغ حد الإصطكاك بين العلماء.

إن هذه الحوزة العظيمة ستقدّم للإنسانية عروضها، وسترى الأمة ويشهد التاريخ على عظمة العطاء، ونجع الدواء... غاية ما يطلب في المقام، هو **رفع الضغوط السياسية** التي ترزح الحوزة ويئن مراجع التقليد والفقهاء العظام تحت نيرها (سواء في النجف الأشرف أو قم المقدسة)، وتوفير **المناخ الأمني اللازم**، **وأجواء الحرية الفكرية**، التي تفسح المجال أمام البحث العلمي وتسمح بالإثراء والإبداع.

والمسلمون جميعاً، شعوباً وحكومات، على مختلف مذاهبهم وفرقهم، سيجدون أنفسهم، حين تبدأ **العولمة بفرض معادلاتها وتنفيذ برامجها**، فيلمسون خطر ضياع أبنائهم وهويتهم وبلادهم... يمدون أيديهم لهذا الصرح المبارك (بما يملكه من معارف أهل البيت عليهم السلام)، بالسؤال وطلب وسيلة للنجاة وسبيل للخلاص... فكما قال الخليفة الثاني «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبوالحسن» وقال «لولا علي لهلك عمر»، وكما استغاث هارون بالكاظم عليه السلام لإنقاذ البلاد والعباد من الساحر الذي فتن المسلمين عن دينهم وشككهم بعقيدتهم، وكما لجأ عبدالملك إلى الباقر عليه السلام ليخلصه من أزمة النقد الروماني، فسك أول عملة إسلامية... سنرى كيف يكرّر التاريخ نفسه.

* * *

أما مدارس **الإصلاح الإسلامي وتيارات الحداثة والعصرنة** التي تملأ الساحة ضجيجاً وجعجعة، دون أن نرى طحناً! فينبغي دراستها والتعامل معها بدقة وحذر... وأول مقتضيات الدقة، هو التفريق بين قسمين من دعات ودغوات «التجديد» المطروحة في ساحة اليوم.

**الأول**: تلك التي تلتقي مع العولمة لقاء تلاقح، وتقف على أبواب الألفية الثالثة، في الموقع والنقطة، وعلى العتبة نفسها التي يقف عليها بابا روما! ويظهر ذلك ـ بجلاء ـ من خلال ما ترفعه وتكرره من مقولات وتتبناه من خطاب ينادي بتغيير ينسف ـ في جوهره وحقيقته ـ «الماضي» بكل ما يحمله من أُصول ونصوص وتراث، بطريقة لا يملك المراقب إلا أن يصنفها في: عشوائية جاهلة، أو عداء دفين وحقد متأصل، أو أمراض وعقد نفسية، وآفات روحية... لا تمانع لتغليب مصالحها في الإثراء والرئاسة والشهرة أن تدفع من حساب الدين حتى تشهر إفلاسه! وأن تأتي على العقيدة حتى تنقض عراها!

إنها دعوة مستهلكة في **المشروع المخابراتي**، وتمثل في حقيقتها، أُطروحة قادة العولمة وزعماء العالم الجديد، ورقمهم للساحة الإسلامية الشيعية.

ويقف ما نطلق عليه **«الفضلية»**، أي جماعة وأتباع محمد حسين فضل الله، من مراكز ومؤسسات وأحزاب إسلامية، على رأس هذا القسم. ويمثل هذا **«المذهب»**، المتميز بتنظيمه الجيد وإمكانياته المالية والإعلامية الضخمة، دون القاعدة الشعبية والوجود الجماهيري... يمثل رأس الحربة في هذا المشروع.

وهم منتشرون بأزياء مختلفة، ولعلك تجد «فضليين» نافذين في **القيادة الإيرانية** ومراكز القرار فيها![1] **مما يفسّر** الإخطاء القاتلة، والحدة المفرطة في مواجهة الحوزة وقمع المؤمنين المعارضين. **ويكشف السر** وراء كثير من الشعارات والأفكار المطروحة في الساحة الإيرانية! ولا أقصد أن «الفضلية» على هذا الحد من النفوذ والقدرة، **بل مَن وراءها، ووراء مشروعها**.

**الثاني**: مشاريع تعيش الحدث، وتواكب تفاعلاته، وتتلمّس عثرات المسيرة، ورغبات الأمة، وحقيقة متطلبات تكاملها وحاجات التزامها الديني، وبالتالي ضرورات «**التجديد**» وأهمية «التطوير»، وتريد أن تبحث عن وسيلة تحتال بها على هذه العاصفة الهوجاء والموجة العاتية، علّها تحظى بمهرب ومنجى، وطريقة من المرونة تمكنها من الإنحناء للعاصفة بما يخرج الإسلام من هذه المعمعة بأقل الخسائر والأضرار... إذ ليس ثمة «كهف» يأوي إليه فتية الإيمان، الذين قاموا فقالوا ربنا ربّ السماوات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً! فيربط على قلوبهم، ويضرب على آذانهم سنين عدداً!

**وتقف «الخاتمية» والتيار الإصلاحي في إيران** على رأس هذا القسم، وأقصد مجموع رابطة علماء الدين المجاهدين (روحانيون مبارز) التي ينتسب إليها السيد الخاتمي، دون الليبراليين والعلمانيين الذين نشط بعضهم في هذا التيار وركب موجته. كما أن هناك رموزاً إسلامية بارزة وشخصيات علمية من الطراز الأول (في لبنان والعراق والخليج) يمكن إدخالها في هذا النهج أيضاً.

---

(١) من أمثال: جنتي، ريشهري، محمد يزدي، ميرحجازي، تسخيري...

إنها مشاريع تنطلق من الحرص والإخلاص، **المقترن بالعلم والوعي**... ومعالمها بادية في سعيها الحثيث على إيجاد صيغ توافقية تحفظ الأُصول وتراعي الثوابت، وهي تناغم العصر وتجاري أدواته، التي لا تصطدم بالدين ولا تنال منه.

**علينا أن نفرّق بين تياري الإصلاح ونهجيه**...

وإن التقيا في بعض، أو كثير من المفردات والأهداف... وأن لا نؤخذ بمظاهر وشعارات نجد أنهم جميعاً يلتقون عندها ويتفقون عليها. فنظلم ونتجنى على علماء ومفكرين يتحركون بطريقة علمية تفرض احترامها، وينطلقون من حرص ومسؤولية حق أن تجل وتكبر[1]. ونخلط بينهم وبين **مشروع ماسوني تقوده رموز مشبوهة ويستعمل أدوات غوغائية**.

بل ينبغي أن يؤخذ بأيدي الإصلاحيين المخلصين ويُدعموا، خصوصاً وأنهم جادّون في دعوى التعددية، ويتركون لغيرهم، وللحوزة والمرجعية على الخصوص، هامش الإستقلالية التامة، وحرية الحركة، والحق الكامل في عرض الأُطروحات الفكرية والنتاجات العلمية التي يرون صحتها.

**خلافاً للـ «فضلية»** التي تقوم على الإستبداد ورفض الغير، والطعن بكل مَن ليس معها. من هنا تجدها تنادي بالحزبية، بل تطالب وتسعى إلى تحزيب المرجعية، من خلال شعارها البرّاق: «المرجعية المؤسسة»، **وما هي إلا المرجعية الحزبية، و«تنظيم» المرجع وتقنين فكره وضبط حركته داخل الحزب!**

---

(١) طالع: «التجديد في الفكر الإسلامي» (دار المنهل اللبناني)، لآية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين.

إن مناطق التنافر وهوّة الإختلاف بين القسمين (الإصلاحيين) سحيقة وعميقة، وتسمح، بل توجب فرض الإثنينية، والتباين بينهما: فهذا ديني مذهبي يخوض في العقائد ويقتحم الشرائع، بينما ذاك سياسي، «يلتقط» ما يناسبه من الفكر الديني.

**علينا أن نفرّق بين**: **«الفضلية»** القائمة على الحسية والمادية، والمنطلقة من عبث علمي، وفوضى لا يمكن جمعها في نظرية ومدرسة، فهي رسالة وخطاب للعوام، يعتمد الإثارة والتشكيك والمغالطة، دون منهج علمي ينتسب إلى فكر، أو قاسم مشترك يمكنه أن يجمع الآراء المتبناة، اللهم إلا الحسية. إنها تبدو مجرد مشروع إعلامي، وخطوة تمهيدية لما سيطرح بعد ذلك.

وبين **«الخاتمية»** التي تنطلق من رؤية فلسفية، وتتبنى فهماً عرفانياً، وتكتنفها مسحة جمالية، وتعيش لطفاً وتآلفاً مع «الغيب» ومحطات الإيمان... أبعد ما تكون عن جلافة وغلظة الحسيين من **«الفضليّة»**!

وبعد، فهناك أمر آخر لا ينبغي أن يغفل... وهو أن الخطر الذي يتوجّه إلى العقائد والفكر الإسلامي الأصيل من دعاة «الإصلاح» و«التجديد»، وما يتهدد الدين من الإنحرافات التي تعشعش في تفكيرهم، **مما لا نبرىء منه أحداً، «فضلياً» كان أو «خاتمياً» أو «شريعتياً» أو غيرهم**، إلا ما خرج بالدليل!...

إن هذا الخطر يتراجع ويتضاءل في التيار **«الخاتمي»**، كونه:

**أولاً**: ينادي بالإصلاح من خلال إطلاق الحريات، وفتح باب البحث والحوار، ثم بالتوسع العرضي للفقه وحركته بما يستوعب المستجدات ويطرح حلوله للمشكلات التي تواجه

المسلم في مختلف شؤون الحياة التي تلاحقه في تطوّرها السريع. ممن يريد أن يواكبها ويعيشها، جنباً إلى جنب أُطروحة دينية نقية، تؤمن له الإستقرار النفسي والتكامل الروحي... **وهي ميادين ترحب بها الحوزة العلمية**، ولا يعارضها حملة الإسلام الأصيل (المدافعين عن المدرسة التقليدية)، ما دامت معايير التقييم وملاكات الحكم على الفكرة رفضاً أو قبولاً، وعلى الآراء تصحيحاً أو تخطئة، لا تحيد عن الأُصول العلمية والفنية، ولا تدخل في الغوغاء، ولا تستعمل الضغط الإعلامي والإرهاب الفكري في التأثير على القرار!

**ثانياً**: إن «**الخاتمية**» مدرسة **وفكر سياسي**، **وليست مذهباً دينياً** (كما هي «الفضلية»)، غاية الأمر أنه فكر أنس ببعض المفاهيم الدينية، ووجد في الإسلام ما يحقق آماله وطموحاته، فتبناه. لذا فهو يصرف جلّ نشاطه في الفعل السياسي.

وهذا مما يصب ـ تلقائياً ـ في خدمة الخط الإسلامي الأصيل المتمثل في الحوزة العلمية والمرجعية، عبر إنهاء أو تخفيف الضغوط التي تتوجه إليها، سواء **بإشغال وإرباك العناصر الضاغطة على الحوزة**، من التيار الآخر (الفضلية، أو المحافظين، أو المخابرات...) وإلهائها في معارك أُخرى. أو من خلال ما تنادي به من **الفصل بين الدين والدولة** (الذي قد تكون له أسبابه المقطعية، ومسوّغاته التي أوجدت ظرفاً استثنائياً)، وسعيها الرائع في إبطال **المشروعية الدينية** للقيادة السياسية **الفعلية**، ونقلها إلى الميدان المدني، وحذف صفات وألقاب التقديس، وإنهاء هالة العظمة **المصطنعة** التي أُضفيت على «القائد».

مما يقدم خدمة عظيمة للإسلام، إذ ينزهه عن التشويه الذي ناله في السنوات الأخيرة، نتيجة لاستغلاله وتسخيره في أهداف وأغراض سياسية رخيصة، ومعارك شخصية تدور مدار المصالح الخاصة! ومما يكفي الإسلام ويدفع عنه، شر خوض الجهلة وتبعات اقتحام المغرضين ميدان الفكر والعقيدة!

خلافاً **للفضلية**، التي يبدو وكأنها تفرّغت لمناصبة الدين والعقيدة الحقة! بحيث يتوجه كل فعلها ونشاطها لمحاربة العقائد ونقض عرى المذهب. حتى صرفت ووظفت كل إمكانياتها في هذا السبيل، بحيث لم تتوان عن جعل «كفالة اليتيم» و«إعانة الفقير» و«طبابة المريض»، وما إلى ذلك من خدمات إنسانية... جعلتها تصب في خدمة مشروعها في ضرب الدين والعقيدة.

وإن دخلت في الميدان السياسي، فلن يتجاوز دورها وفعلها محاربة التيار الديني الأصيل، ولن يحيد موقفها عمّا يخدم خلق الأجواء وتمهيد الأرضية أمام «**دين العولمة**».

علينا أن نعي حقيقة هي: **أنه لا يخدم «الفضلية» شيء** مثل الفوضى واختلاط الأوراق وفقدان الدقة في تحديد الهوية! فهم يدسون أنوفهم في «الثوريين» تارة، ويرقصون على إيقاع «الإصلاح» اخرى، ويتظاهرون ثالثة بالرصانة ويتشحون بالوقار ليحسبوا على الحوزة التقليدية!

**ولا يخدم الوعي شيء** مثل تعرية هؤلاء وكشفهم على حقيقتهم، وبيان أن لا ناقة لهم في الثورة، ولا جمل في الحوزة... أما «الإصلاح» عندهم فهو **الدعوة لدين العولمة**.

* * *

**الخلاصة**: إن محور «الدين» في الألفية الثالثة، وأساس ما أعدّوه «كمنهج روحاني» للإنسان في **دنيا العولمة**، سيبتني على نبذ الموروث، وإلغاء الماضي، والتأسيس لـ «جديد»، من المرونة و«المطاوعة» بحيث يتكيف مع أي من متطلبات الحياة الجديدة، سواء الإجتماعية أو الثقافية، ناهيك عن السياسية والإقتصادية. وهي متطلبات ستتوغل في **المادة والحس والشهود**، بما لا يسمح بأي هامش لمعطيات **الغيب أو المعنويات**، ولو بأدنى صورها... مما لن تتحمله أي من «الأديان» القائمة في عالم اليوم.

**وهذه حقيقة، تشكل أزمة كبيرة ومعضلة غاية في الخطورة والتعقيد**، لن يلغيها صدنا وإنكارنا، كما لا يخفف من وطئها تجاهلنا وإعراضنا! وإن لم نستشعرها بعد، فسوف نرى في المستقبل القريب كيف ستأتينا، لتجثم على صدورنا، وتكبل أيدينا بأصفاد فولاذية... لعلنا كنا نملك مفاتيح أقفالها يوماً!

وهذا مما لا يعالج **بإطلاق الأسماء على السنين**! فالسنة الماضية سنة الإمام الخميني، وهذه سنة أميرالمؤمنين[1] و... ولا

(١) ناهيك عن أصل هذا العمل، ومدى صحة تسمية السنين بأسماء الائمة، وما يتداعى من مفهوم هذا المنطوق، وهل هي «بدعة» (إذ التخصيص الوارد هو لايام الاسبوع) حسنة أم سيئة؟... ناهيك عن كل ذلك، فإن «المسمّي» و«المسمّى» أبعد ما يكون عن «الإسم»! فمع إطلالة «المسمّى»، أي هذا العام، أقدم «المسمي» على زج خصومه في السجون، وقمع معارضيه والتنكيل بهم بشتى الوسائل، لمجرد آراء طرحوها ومقابلات صحفية أجروها، تتضمن نقداً وتخطئة لسلوكه وسياسته! وهم إخوة له في الإيمان ورفاق في الجهاد وزملاء في المهنة.

بينما هذه سيرة «الإسم» المقدس، وشواهد سنته، الناصعة تنقل من يريد التأسي واتخاذ القدوة، إلى آفاق تتعالى على حطام الملك والإمرة، وتسجل ←

باعتماد **شعار لكل عام**، فهذا عام الأمن القومي، والعام السابق عام الوحدة الوطنية! ولا بحشد بضعة آلاف من الشباب، وسوقهم في مظاهرات غوغائية تلعن وتنادي بالويل والثبور على الخصوم و«الإخوة»، كما تفعل على أمريكا وإسرائيل (على حد سواء!)، في حركات تمثل المصداق الأتم للطيش والضياع من جهة، والإستغفال والإستخفاف بالعقول من جهة أُخرى.

ولا بإبطال الإنتخابات، والتلاعب فيما اختارته الأُمة، أو بتعطيل الصحف... ولا حتى بالإرهاب وتصفية الخصوم، سواء بقتلهم أو بزجهم في السجون والمعتقلات أو التضييق عليهم.

ومن جهة أُخرى، فإن الموقف يتطلب دقة متناهية في فهم الساحة، وقدرة فائقة على موازنة الأجنحة وترجيح التيارات الفكرية والسياسية... ويتطلب شعوراً بالمسؤولية لا ينسجم مع دس الرأس في التراب، ولا يلتقي مع إخلاء المواقع والقول: «**ليذهبوا جميعاً إلى الجحيم**»، و«**ما لنا وهذه الفتن**»!.

---

← أسمى الآيات والدروس في الحكم والإدارة، وفي الحلم وسعة الصدر...

فهذا الأشعث بن قيس، الذي عبر ابن أبي الحديد المعتزلي بأن: «كل فساد كان في خلافة علي ﷺ وكل اضطراب حدث، فأصله الأشعث...» (شرح النهج ج١ ص٢٠٦)، ووصفه قائلاً: «وهو في أصحاب أميرالمؤمنين، كما كان عبدالله بن أبيّ بن سلول في أصحاب رسول الله، كل واحد منهما رأس النفاق في زمانه». وكان كلما سمع علياً ﷺ يرفع الأذان من مسجد الكوفة، رقى مئذنة كان قد بناها في داره، ليصيح بأعلى صوته: «يا رجل إنك لساحر كذاب»! والعياذ بالله... هذا الأشعث كان يعيش حراً طليقاً في دولة أميرالمؤمنين ﷺ، لم يمنع من بيت المال، ولم تعترضه «شرطة الخميس» بحبس ولا قمع.

إن هذه التسمية لمن المفارقات التي حق أن تشق عليها الجيوب! ■

ويقوم على فهم ووعي يفصل بين «**التوكل**» و«**التواكل**»، ولا يخلط بين الإعتماد على الله، وأن «للبيت ربّ يحميه» وأن «الحجة ﷺ سيأتي ـ عندها ـ ليصحح كل شيء ويمنع العبث في دين جده، ويوقفهم عند حدهم»... وبين المسؤولية الشرعية والدور الرسالي.

**إننا مسؤولون**، وعلى أقل التقادير، فنحن مسؤولون عن نصرتنا القلبية، وعمّن نهوى؟ ولمن نتمنى الفوز والإنتصار؟ وعلى من نأسى ونحزن إن هزم وتراجع؟ ثم عن المسوّغات الشرعية لهذه المواقف «القلبية».

لا يمكن لمؤمن يريد أن يؤدي دوره الرسالي ويفرغ ذمته الشرعية، **أن ينعزل عن المجتمع ويعيش عالمه الخاص**، ويفصل نفسه، في فهمه وتفكيره وسلوكه وموقفه، عمّا يدبر له ولدينه، ويحاك للأجيال القادمة من مؤامرات ومضلات الفتن... فأقل ما سيواجهنا سؤال أبنائنا وأهلنا في البيوت، و«رعيتنا» الخاصة! وهم يعيشون الشبهات والإشكالات.

**فهل نملك أدوات الإجابة، وأدلة الرأي الصحيح؟**

إن هذا لن يكون إلا بمتابعة ما يجرى، والبحث والتفحص والدراسة والتحقيق، لنكوّن رؤية واعية ونخرج بنتائج صحيحة... ثم العمل على توعية الأُمة وفقها.

هذه هي الساحة التي نعيش، و**هذه القضايا هي التي تملؤها** اليوم، وهي المادة التي يخوض فيها المؤمنون ويتجادلون ويختلفون ويتنازعون، **ومن جني هذه الإثارات يثري المبطلون، وما حصائدهم إلا أبناؤنا وأهلنا**...

إن عدم دخولنا هذه الساحة، وانعزالنا عنها، **وامتناعنا عن تقديم رؤية تحلل الحدث، وموقف يكشف ما وراءه**، ويعرض نتائجه بطريقة علمية تحمل من الإستدلال والفكر واللغة ما يصيب المقتل من الباطل، ويقع في محله من المنطقة المستباحة في تفكير الشباب والطبقة المثقفة التي تخوض في هذا الميدان، أو التي تجد نفسها مجبرة على دخوله، وهي عزلاء، لا تجد من يقول شيئاً أو يدلي برأي، من الجبهة التي تطلق عليها النار وتوجه نحوها المدافع، فلا يملك إلا الظن بأنها منهارة أو أن لا أحداً هناك! أو يصدّق بعض «الطلقات والقذائف» الموجهة نحوها، والتي تقول: **إنهم لا يهتمون ولا يعبئون بكم، ولا يقيمون لكم وزناً ولا قيمة!**...

إن هذه السلبية هي ما يريده الأعداء ويتمنون.

**«العولمة» قادمة**، وهذا هو دينها، وذاك هو مشروعها ورأس الحربة في طرحه والترويج والتمهيد له... علينا أن نعمل شيئاً، أو مساعدة من يمكنهم أن يعملوا.

إن هذه الأزمة، وما سيظهر من تداعياتها في المستقبل القريب، بحاجة في معالجتها، وعرض الطريقة المثلى في مواجهتها، إلى عقول عبقرية، ونفوس انطبعت فيها الحكمة، فغدت ملكة راسخة... إلى ذهنيات في القمة من العلم والتخصّص، ممن **صرفت أعمارها وقضت حياتها مع علوم آل محمد**، حتى تسلّطت على فنون الإنتزاع والإستنباط. أُناس خضعوا في طاعة سادتهم، والتزموا آداب المائدة، حتى طاوعهم «طعامها»، فصاروا يلتقطون من **معارف أهل البيت** عليهم السلام ما

يشاؤون من الطيبات، وما يحتاجون من الإشارات والأسرار، ويستلون من ظواهر آثارهم وبواطن حديثهم الأدوية الشافية والعلاجات الناجعة... إننا بحاجة إلى من **عجن فكره بمعارف أهل البيت، كما عجنت طينته بماء ولايتهم**.

إن النار تكتنز لهيبها تحت الرماد، وهذا هشيم تذروه الرياح وتعبث فيه الأهواء، لا يحتاج حتى تستعر فيه، لأكثر من نسمة عابرة، لتأتي على كل شيء...

ولات حين مناص، ولتعلمن نبأه بعد حين!

**ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**

* * *

## الكنيسة: من صكوك الغفران إلى الإستغفار !

■ جان بول الثاني يمهد لدين العولمة !

■ ماذا وراء تنازل الكنيسة عن أهم عقائدها ؟

■ المسلمون بين فرح، وتائه يطلق الأسماء على الأعوام !

■ ضرورة التمييز والتفريق بين تياري «الإصلاح» الشيعي .

■ «الفضليّة» تنطلق من المذهب الحسي وتدعو للمرجعية الحزبية !

إن النقلة الحضارية التي تنتظر البشرية في الألفية الثالثة، اقتضت أن يجري الإعداد لـ «دين» جديد! يتناسب وما سيكون عليه الحال في دنيا «العولمة» ... دين يبني أُسسه على تجاوز «النص» ونسف الأُصول والتخلي عن التراث، ويقوم على مغالطة إباحة الإجتهاد أمام التراث الديني كونه نتاجاً بشرياً غير معصوم. مما سينال من المسيحية كما سيطعن بالإسلام، ويوجه سهامه إلى التسنن كما سيفعل بالتشيع!

إن الحوزة العلمية والمرجعية الشيعية، من المرونة والحركية، كما هي من العلم والتخصص بحيث ينحصر العلاج في وصفتها .

من هنا ينبغي أن ينطلق التعامل مع تيارات الحداثة والتجديد والإصلاح الإسلامي، ويتحدد الموقف الصحيح منها .